الجزء الأول

د. موسى أبو مرزوق

مشوار حياة

ذكريات اللجوء والغربة وسنوات النضال

إعداد: شاكر الجوهري

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الفصل الثالث

من الناصرية إلى "الإخوان"

نكسة حزيران 1967

من الناصرية إلى "الإخوان"
نكسة حزيران 1967

لم يكن يدور في خُلْد الفتى موسى أبو مرزوق أن الاحتلال الإسرائيلي البشع الذي تعرّض له قطاع غزة سنة 1956 سيتكرّر مرة أخرى في سنة 1967، ويطول في هذه المرة لعدة عقود.

لقد اندلعت حرب الأيام الستة، كما أسماها الإسرائيليون في 1967/6/5، اليوم الذي كان مقرراً أن يقدم فيه موسى آخر امتحانات الصف الأول الثانوي، وكان قد بلغ عمره آنذاك 16 عاماً وقرابة الأربعة أشهر.

كانت صدمة الاحتلال الثانية للقطاع بالغةَ القساوة على الفتى الذي كان قد تشبّع بالفكر والعنفوان القومي على يديّ مدرِّسه حسن أبو الخير، وبرامج إذاعة صوت العرب، وكتابات الصحف المصرية التي كان يحضرها إليه شقيقه محمود، الذي أصبح ضابطاً في جيش التحرير الفلسطيني، ذلك الاسم الذي ألهب مشاعر الشباب، وترك لمخيلتهم أن تتصور مشاهد التحرير المرتقب، لا الاحتلال من جديد، وهم الذين تشرّبوا عذابات الاحتلال وبؤسَه أيام طفولتهم الأولى.

وكانت الصدمة تكبر في النفوس وتتعاظم مقارنة بالقناعة التي شكلها الإعلام المصري في عقول العرب من المحيط إلى الخليج بأن الجيش المصري قد أصبح أكبرَ قوة ضاربة في الشرق الأوسط، حيث كانت العروض العسكرية، وما يظهر فيها من أسلحة وصواريخ تبلغ معها النفس البشرية ذروة التشوّق للتحرير، وخصوصاً تلك الصواريخ التي أُطلِقت عليها تسميات القاهر، والظافر، والناصر، واختفت فور إطلاق أول رصاصات الحرب. والإعلامي الأبرز أحمد سعيد الذي نَصَب نفسه منادياً للعرب ببشائر النصر، وأن مصر قادرة على إبادة "إسرائيل" خلال بضع ساعات فقط، وفور أن تسمح الحسابات الدولية بذلك.

لكن، ها هو الاحتلال يجثم على الصدور من جديد، وها هي قواته تعود بعد عشر سنين لتعيث في منازل فلسطينيي قطاع غزة والضفة الغربية أيضاً، تخلط العدس بالسكر والطحين والأرز، وتمارس القتل والتنكيل العشوائي بالناس، وتمارس سياسة التفريغ السكاني منذ الأيام الأولى، قاذفةً بمواطني القطاع بواسطة الباصات، إلى الأردن ومصر، بعد أن تجمعهم عشوائياً في ساحات المدارس.

بعد الاحتلال انقطع مورد رزق الحاج أبو محمد، الذي كان يعمل مع قوات الطوارئ الدولية، وعند انسحابها انتهى عمله؛ بالتزامن مع وقوع ابنه محمود في الأسر، وابنه الآخر محمد كان يعمل في السعودية، بينما كانت أسرته في غزة، ولم تكُن هناك طريقة لإرسال شيء لوالده أو لأسرته المكونة من أربعة أطفال ووالدتهم، فاتّجَه الوالد إلى السوق متاجراً مرةً في بيع الأسماك ومرةً في بيع الخضار والبطيخ.

يقول أبو مرزوق إن نشاط والده رحمه الله كان كبيراً، ولا بدّ من مساعدته، فكان يذهب وإياه أحياناً بعد صلاة الفجر لجمع الخضار وبيعها في السوق العمومية، وهي خضار كان يشتريها في أرضها وبعد بيعها يشتري ما يستطيع بيعه بالتجزئة في السوق، وكانت البسطة مميّزة لكونه يشتري "وجه الصحارة" من كل شيء ثم يبيعه عند افتتاح السوق، وعند الضحى كان الفتى موسى يذهب ليساعد والده، وهو أكثر الأوقات بيعاً، حيث كان يقف على البسطة. في البداية كان الحياء يعتصره، حيث إنه غير متعود على البيع في السوق، غير أن الأمرَ أصبح عادياً بعد فترة من الزمن.

يُضيف: "كثيراً ما كان الوالد رحمه الله يرقبني وأنا أنصح المشترين حينما يأخذون شيئاً غير مناسب بالخطأ فيتبقى جزءٌ من البضاعة دون بيع، وأنا السبب في ذلك، فينهرني لفعلتي، ولكن الدوافع الداخلية عندي تمنعني من التغاضي عن المشكوك فيه، فما بالك بالشيء البائن العوار، وكنت مُصرّاً على أن أبيع بنفس الطريقة، فإذا اشترى أحدٌ بطيخة أخلصت له النصح فيها، وهكذا. وأغرب ما حدث معي، بينما كنت أبيع البطيخ، أنه جاءت سيارة صهيونية ووقفت لتشتري بطيخاً،

ورفضت بيعهم قائلاً عباراتٍ رافضة وجارحة ضدهم، فإذا بهم يتدافعون على صندوق السيارة حاملين أسلحتهم الرشاشة، فقد كانوا يعرفون العربية ولم أكُن مدركاً لذلك؛ لأنهم ليسوا عرباً، واشتبكت معهم بالأيدي وتولّى المتواجدون في السوق "فضَّ الطوشة"".

وبعد عام ونصف من العمل في السوق، إضافةً إلى الحلقات الثقافية والعلمية والقراءة والاطلاع—وقد التفتَ إلى دراسة الفقه الإسلامي، وتدريس الأشبال من حوله في المسجد؛ عنايةً بهم وحفاظاً عليهم وربطهم بالإسلام والمسجد—ودراسته "نظام المنازل" للصف الثاني الثانوي، عقد العزم على الخروج لدراسة الثانوية العامة في مصر وسافر إلى عمّان. بعدها كان الزبائن حينما يأتون إلى بسطة والده لا يسألون عن أسعار الخضروات والفاكهة والبطيخ—كان معظم الفاكهة يأتي من الضفة الغربية—ولكن عن الشاب الذي يبيع كل ذلك، فلما افتقدوه انصرفوا عن الشراء وأقفل والده البسطة. وانفتحت الطريق لتحويلات الأبناء لذويهم والسفر إليهم وزيارتهم.

تساؤلات الهزيمة ومشاهداتها:

غير أنه ما لبثت أن راودت الفتى موسى التساؤلات:

لماذا وقع ما وقع من احتلال؟ وأين هو الجيش المصري، أقوى جيش في الشرق الأوسط؟ وأين هي صواريخ القاهر، والظافر، والناصر؟ وأين جيش التحرير، وجيوش العرب؟ وغيرها الكثير من الأسئلة، التي تكالبت على العقول الحائرة تبحث عن إجاباتٍ لم تكن متوفرة.

وكان السؤال الذي سبق كل ذلك لديه، والذي يرمي بوطأته على رأسه قبل كل تلك الأسئلة هو: "أين أخي محمود؟ أمَا زال على قيد الحياة، أم أنه قد سقط شهيداً؟".

الإجابة على هذا السؤال فرضت على الفتى موسى أن يجوب رمال سيناء ومواصي رفح بحثاً عن أخيه. وكان في رحلة البحث اليومية يحمل معه الماء والطعام والدُّخان يقدّمه للجنود المصريين المنهزمين والسائرين على أرجُلهم

عبر سيناء إلى مصر. ولم تكن رحلات موسى بلا مخاطر، فقد كانت تتم بين أكوام من جثث الشهداء المبعثرة في كل مكان، ومعظم أصحابها يرتدون الجلابيب وبلا سلاح، والتي شارك في دفن الكثير منها دون معرفة أصحابها أو عناوين أهاليهم للإبلاغ عنهم. وكانت الطائرات الإسرائيلية تقوم بإلقاء المناشير فوق رؤوس جنود الجيش المصري المنكسر تطلب منهم الاستسلام، مستخدمةً أفضلَ الصيغ في التعبير عن التهكم والازدراء. وكانت القوات الإسرائيلية قد وصلت قناة السويس قبل الجنود المصريين المنسحبين انكساراً، فيما كانت ما تزال في قطاع غزة مقاومة متقطعة لجنود جيش التحرير. وأحدهم فيصل الفاهوم، الذي دمّر الدبابة الوحيدة التي خسرها الإسرائيليون في رفح بالقرب من بوابة مدرسة بئر السبع الثانوية، والتي على إثرها نسف جنود الاحتلال الجناح الرئيسي للمدرسة ومدخل البوابة الذي يزينه المجسم الضخم للنسر، رمز الوطنية والقوة ومبعث الحماسة في نفوس شباب الفتوة في المرحلة الثانوية.

وفي أثناء رحلة البحث، قادت موسى قدماه إلى مدرسة (ب) الإعدادية للاجئين التي كان يتواجد فيها بعض الجنود الأعزاء من المصريين، فوجد بينهم 23 شهيداً داخل أحد الصفوف التي أصبحت بلا مقاعد بعد أن جرى تحويلها إلى مهاجع للنوم. وكان الجنود الذين تنزف دماؤهم من جروح إصاباتهم يكتبون أسماءهم، وبعضهم باستخدام الدم، على الجدران، كما كانوا يكتبون أسماء أهاليهم وزوجاتهم كي يعرفوا لاحقاً أنهم قد استُشهِدوا، ولفظوا أنفاسهم الأخيرة في هذا المكان، رحمهم الله جميعاً. مواقف لا تُنسَى لهؤلاء الشهداء. وكان من بين القتلى طفل في العاشرة من عمره أرسلته أمه يحمل براد شاي للجنود، فقتله الرصاص الإسرائيلي، وسقط براد الشاي والأكواب إلى جوار جثته. وكان كل شهداء ذلك اليوم قد أُطلِقَ الرصاصُ عليهم وهم داخل مهاجعهم، ودون أن يشاركوا في أي قتال.

ولم يكُن هذا المشهد بمُستغربٍ بالنسبة لموسى، فقد تشكلت لديه انطباعات مسبقة، قبل بدء القتال، عن حجم الفوضى التي سبقت تحرك القوات المصرية

إلى سيناء وقطاع غزة. إذ كان أخوه محمود قد اصطحبه إلى منطقة المنطار التي تُعدّ الأكثر ارتفاعاً في قطاع غزة، وجعله يشاهد الدبابات والجنود الذين قيل إنهم سيحررون فلسطين ويدمرون "إسرائيل". وكان قد لاحظ قدوم الدبابات التي أبت إحداها أن تسير، فطلب قائدها من الناس أن يدفعوها دون جدوى، مما اضطره إلى إيقاد النار لتسييح الشحمة التي تُعيق حركة جنزيرها. وكان جنود الجيش المصري قد التحقوا بمقرات وحداتهم قبل بدء القتال بأيام قليلة فقط، بعضهم بملابسه المدنية و"الشبشب"، وبلا طعام، الأمر الذي جعل الفتية والشباب يطرقون أبواب منازل اللاجئين شبه الخاوية يطلبون الخبز والشاي والطعام للجيش الذي جاء ليحرر فلسطين!

شهادةُ محمود:

وبعد أيام من البحث، وجد موسى أخاه وعدداً من ضباط جيش التحرير الفلسطيني في أحراش سيناء، وانتظم بعد ذلك في تزويدهم يومياً بالماء والطعام، وعلى مدى شهرين، بدأت بعض السفن تنطلق من غزة إلى لبنان ومصر تسلُّلاً، لتنقل بعض الضباط. لكن المركب الذي أقلَّ أخاه محمود وقع في الأسر قبالة شاطئ حيفا، وظل محمود في قبضة الأسر الإسرائيلي لتسعة أشهر، تركز جانبٌ من التحقيق في أثنائها على: "مَن الذي كان يزودكم بالماء والطعام والملابس، ويحدد لكم مواقع حقول الألغام؟". ولم يعترف أحد على موسى.

أما العميد محمود فيفصِّل ما جرى معه في تلك الأيام التي لا تُنسى؛ والتي كان يومها برتبة نقيب في جيش التحرير الفلسطيني، وقائداً لسرية مدفعية ميدان تتشكل من ستة مدافع. وكانت سرية المدفعية الوحيدة التي تحركت إلى قطاع غزة قبل اندلاع العمليات العسكرية بسبعة أيام. وكان عبد الناصر قد أسس قوات مدرعة ومدفعية فلسطينية في منطقة "الأبطال" في العريش؛ لأن اتفاقية الجلاء لسنة 1957 كانت تمنع دخول أسلحة ثقيلة إلى قطاع غزة.

"سرية محمود" تمركزت في منطقة المنطار—تبة النصر—قبل بدء القتال بيومين. وفي اليوم الخامس للقتال قصفت طائرتا مستير Mystere إسرائيليتان

موقعَ السرية دون أن تُصيب أيّاً من مدافعها الستة، التي تم نقلُها على الفور إلى مواقع أخرى. غير أن محمود نفسَهُ أُصيبَ بشظايا إحدى القنابل. ومن المستشفى الذي عُولِج فيه في البريج، توجه إلى منزل والده في رفح، حيث ترك سلاحه الشخصي وذهب إلى سيناء التي تجمع فيها مع ثمانية أفراد آخرين مزودين بالسلاح والذخيرة، واختبأوا في أحراش سيناء. وبعد عدة أيام تمكن موسى من الاستدلال إلى المخبأ، وواظب منذ ذلك اليوم على تزويد المجموعة بالماء والطعام والملابس، كما تمّت الإشارةُ سابقاً.

غير أن قوات الاحتلال، وبعد أن استقرّت، بدأت القيام بالبحث عن الضباط والجنود التائهين في الصحراء بواسطة سيارات الجيب وطائرات الهليكوبتر العسكرية، الأمر الذي فرض على "مجموعة محمود" التحرك من الصحراء إلى تلّ زعرب في القطاع، حيث غابات السرو. وكان أبو محمد عندما علِم بحملات البحث الإسرائيلية عن التائهين في الصحراء قد توجه إلى سيناء بحثاً عن ولده محمود. وفي أثناء سيره وجد ولدَه مختبئاً مع مجموعته في حفرة، فقال لهم: "أنا الجاهل بالعسكرية رأيتكم، فكيف اليهود؟".

لكن محمود رفض العودة مع والده. وبعد أن هدأت الأمور قليلاً، تحرّك محمود إلى رفح حيث اختبأ في منزل أحد أصدقائه، ولم يذهب لبيت أبيه باعتباره الهدف الطبيعي لحملات التفتيش الإسرائيلية. وداخل ذلك البيت تم تزويرُ بطاقات هوية تم استخدامها في التجول في كل أنحاء القطاع بحثاً عن السلاح والذخائر والألغام التي جرى إخفاؤها في أكثر من مكان، وتم الاتصال مع بعض صفّ الضباط الموثوقين الذين تمّ تعيينهم قيادات للمقاومة الشعبية في القطاع، وكانت بداية تشكيل قوات التحرير الشعبية لجيش التحرير الفلسطيني.

ويوم أزف موعد مغادرة القطاع بواسطة مركب مهربين صغير، أصر حلمي العبادلة على ركوب المركب مع المجموعة إلى لبنان، لكن المركب حين وصل قُبالة شاطئ إسدود طوقه لَنشان (قاربان) إسرائيليان، وجرت المناداة على ركاب المركب بأسمائهم، وتم أسرُهم حيث أُقتيدوا إلى سجن أسدود الذي نُقلوا منه لاحقاً

إلى سجن المجدل العسكري. ثم نُقل كل أفراد المجموعة إلى سجن عتليت، فيما نُقل محمود إلى سجن بئر السبع، ومنه إلى سجن غزة، حيث أُطلِق سراحه بعد تسعة أشهر في عملية تبادل الأسرى بين مصر والكيان الصهيوني.

بدايات المقاومة والتمرُّد:

الفتى موسى شهد إذاً البدايات الأولى للمقاومة الشعبية والعمل الفدائي في قطاع غزة. وقد كان هو نفسه يقدِّم المساعدة الضرورية للمجموعة الأولى التي كان يزودها في مخبئها بالماء والطعام والملابس. ومثل هذه الصلة تتكرر لاحقاً مع قواعد الفدائيين في الأردن ولبنان في أثناء دراسته الجامعية في مصر، حيث كان يذهب لزيارة أخيه محمود.

الاحتلال الثاني لقطاع غزة كان مفصلاً هاماً في حياة الفتى موسى. كانت الصدمة كبيرة وعنيفة جداً، ربما بحجم الآمال التي بناها كل العرب في ذلك الوقت على ما أشاعه الإعلام، بما في ذلك الإعلام الصهيوني نفسه، عن قوة الجيش المصري... وقطعاً بسبب المشاهد الدامية التي تكررت في حياته للمرة الثانية، بشكل أكثر شمولية ووحشية واتساعاً، وبسبب ازدياد مستوى الإدراك لديه المرتبط بعامل السن.

وهو، بعد أن عثر على أخيه، الذي غادر القطاع إلى الأسر الإسرائيلي عبر البحر، وكنتيجة لِمَا ترسخ في ذهن الأسرة من أن خيانةً تعرض لها، فقد كان قد تفرغ للتفكير في الإجابة على الأسئلة المُلحة، التي كانت مؤجلة بالنسبة له طوال فترة فقدان، ثم اختباء محمود، حين بدأ في تشرين الأول/ أكتوبر أولَ عامٍ دراسي في ظلّ الاحتلال الإسرائيلي.

يومها قرر موسى عدم الالتحاق بالمدرسة الخاضعة في حينه للإدارة الصهيونية، بعد أن عُيِّن مدير يهودي للتعليم في القطاع. ولم تفلح كل محاولات مُدرّسيه الذين توافدوا إلى منزل والده سعياً لإقناعه باستئناف دراسته أسوة بزملائه، وكان قد قرر تعليم وتثقيف نفسه بنفسه. وبدأ يقرأ بنَهم كتب السياسة

والفكر والفلسفة والتاريخ، علَّه يجد بين دفّاتها ما يرشده إلى الإجابات المطلوبة. كما بدأ يساعد والده عبر العمل كبائعٍ في سوق الخضار.

وخلال ذلك العام الدراسي الذي أمضاه موزعاً ما بين القراءة والدراسة في المنزل، بعد أن اشترى الكتب المدرسية وامتحن بها في نهاية العام، والبيع في سوق الخضار، والتجول في الخلاء بحثاً عن رحابة التفكير التي يوفرها الفضاء الفسيح، كان موسى يراجع أيضاً توجهاته القومية الناصرية التي سادت الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه في الستينيات. وذات يوم، وبعد فترة تأمُّل عميق، وقف موسى ممسكاً بيده الميدالية التي تحمل صورة عبد الناصر، ولم تكن تفارقه قط في السنوات الأخيرة، وقذف بها بعيداً بكل قوته إلى البحر، وكأنه كان يقذف بالمنهج الذي قاد إلى احتلال قطاع غزة، وسيناء، والضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية، وكذلك الجولان.

اللقاء مع الشيخ أحمد ياسين:

ما العمل؟ وما البديل؟ كان هذان السؤالان هما اللذان أخذا يلحان على عقول الفلسطينيين في ذلك الوقت، بعد أن أعيَت معظمهم الأسئلة والتساؤلات السابقة. وبعد قرابة العام من الاحتلال، كانت المنظمات الفدائية قد بدأت تستقطب الشباب في قطاع غزة، وخصوصاً حركة فتح التي كانت قد تأسست قبل الاحتلال في الكويت ودول خليجية أخرى على أيدي شباب بعضهم من قطاع غزة، ومن ذوي خلفية إخوانية (إخوان مسلمون)، والجبهة الشعبية التي انبثقت عن التنظيم الفلسطيني لحركة القوميين العرب، ونجحت في استقطاب بقايا تنظيمات الحزب الشيوعي في القطاع. غير أن ممارسة الكفاح المسلح داخل القطاع، كانت محصورة في ذلك الوقت المبكر ببقايا جيش التحرير الفلسطيني، والذي عمل تحت مسمى قوات التحرير الشعبية، التي شارك محمود مشاركة فاعلة في تأسيسها.

ولم يكن أي من التنظيمات أو الأحزاب السياسية قوياً في قطاع غزة عشية الاحتلال، فالإدارة المصرية في عهد عبد الناصر كانت تلاحق كل التنظيمات

السياسية؛ فتح، وحزب البعث، والحزب الشيوعي، وكذلك جماعة الإخوان المسلمين التي تشكلت في قطاع غزة في الأربعينيات، وكانت قد تعرضت لأوسع عملية تفكيك واعتقال وتشريد، متصلة بما لاقته الجماعة الأم في مصر ذاتها بعد اعتقالات سنة 1965 وإعدام سيد قطب ورفاقه. ولم يكن يوجد في قطاع غزة عشية الاحتلال غير أعداد قليلة جداً من الإخوان المسلمين، وكان معظم شباب الإخوان معتقلون في السجون المصرية، أو فارّين خارج القطاع. وكان الشيخ أحمد ياسين، الذي سيؤسس فيما بعد حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، ويصبح زعيمَها الروحي، قد اعتُقِل، غير أنه أُفرِج عنه من قِبَل الاحتلال. والإفراج عن الشيخ أحمد ياسين كان بمثابة النكتة. فقد أحاله الادعاء العام إلى القاضي بتهمة إلقاء القنابل على رجال الشرطة، ومقر إدارة الحاكم العسكري المصري في القطاع، لكنه حين مثُلَ أمام القاضي، وجده مشلولاً منذ سنة 1952، وإن كان الشلل لم يكن قد شمل كل جسمه، كما أصبح حاله بعد ذلك، حيث لا يستطيع تحريك غير عينيه، فأمر القاضي من فوره بالإفراج عنه.

لم يكن للفتى موسى أبو مرزوق أي صلة بجماعة الإخوان المسلمين في ذلك الوقت، كما أنه لم يكن قد التقى الشيخ أحمد ياسين من قبل. ولم يكن قد عرف عنه أي توجُّه إسلامي، يزيد عن الشعور الديني، الذي كان جزءاً من العقيدة الدينية لكل الناس، الذين كانت تؤججهم المشاعر القومية في ذلك الوقت، وهي المشاعر التي هزها الاحتلال بعنف، محولاً معظمها إلى "الوطنية الفلسطينية" التي تدعو للاعتماد على النفس فقط، وهذا ما كانت تروّج له حركة فتح بشكل صريح، وهو ما مارسته الجبهتان الشعبية والديموقراطية اللتان وظّفتا فكرهما الأممي المستحدث في توفير الغطاء للابتعاد عن القومية إلى الوطنية.

إلا أن الفتى موسى لم يتّجه صوب أي من المسالك الفكرية السائدة. وهو بدلاً من ذلك، انخرط مع عدد من أقرانه في قراءة الكتب بنهم وتفحص بحثاً عن أسباب النكسة وكيفية الخروج منها. وبدأت عملية القراءة الجماعية بعد الاحتلال بأربعة أو خمسة أشهر. وكانت المجموعة القارئة ومعظم أفرادها من اللاجئين

تضم: الأستاذ خميس أبو ندى، الذي عمل لاحقاً في مكتب الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، ود. أحمد يوسف الذي عمل مستشاراً سياسياً لرئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية، ود. فتحي الشقاقي الذي أسس حركة الجهاد الإسلامي، واغتاله الموساد Mossad الإسرائيلي في مالطا؛ وكان الإسرائيليون قد اعتقلوه (أي الشقاقي) لمدة أربع سنوات قبل أن يبعدوه عن القطاع، وهو أول من عرف الشيخ أحمد ياسين في مخيم الشاطئ وحدث أبو مرزوق عنه؛ لأنه كان يُكثر الحديث معه عن فكر الإخوان المسلمين من خلال كتب سيد قطب ومحمد قطب ومحمد الغزالي، واتفقا على زيارة الشيخ أحمد في رفح لسماع خطبة الجمعة الأولى في مسجد الهدى. وانعقد أول لقاء في بيت د. فتحي ثم انتقلت اللقاءات لاحقاً إلى بيت الشيخ أحمد ياسين حتى انتقل الشقاقي إلى الضفة الغربية في نهاية سنة 1968.

وللشقاقي علاقات خاصة مع المرحوم سعيد بلال وإخوانه: القاضي إبراهيم أبو مر الذي عمل لاحقاً قاضياً شرعياً في غزة، وتأخر شهوراً حُباً لعبد الناصر، ود. علي شكشك الذي عمل لاحقاً طبيباً في الجزائر، والأستاذ جمال أبو هاشم الذي عمل لاحقاً وكيلاً مساعداً في وزارة التربية والتعليم وموجِّهاً للُّغة العربية، وكان أول من عرف الإخوان من الشباب، وعرفهم من خلال المكتبة الإخوانية لوالده، فقد عرف الإخوان قبل أن يعرف الشيخ أحمد، وموسى أبو مرزوق. وكذلك محمد محمود محسن الذي عمل لاحقاً طبيباً في السعودية وقد توفاه الله هناك، وكان والده الحاج محمود تاجر أقمشة مقيماً في مخيم الشابورة بمدينة رفح، وكان من الحالات النادرة أن واحداً من رجال الإخوان المسلمين الذين لم يُعتقلوا في العهد المصري. كان ولده محمد رحمه الله يأتي للمجموعة القارئة بالكتب الفكرية والثقافية ذات العلاقة بالإخوان المسلمين، من مكتبة أبيه التي احتفظ بها تحت الأرض.

مثَّلت قراءة الكتب التي حصل أبو مرزوق عليها من مكتبة أبو محمد وغيرها، بداية النقلة لهؤلاء الشباب من التوجُّه القومي الناصري إلى التوجُّه الإسلامي.

وكان أفراد المجموعة القارئة يقضون الوقت في الحوار الفكري أحياناً يناقشون الفكر القومي، وأحياناً الفكر اليساري، وأحياناً الفكر الإسلامي، وذلك في إطار بحثهم عن أسباب النكسة، والانعتاق من الاحتلال.

وبعد أشهر من القراءة والمواظبة على الصلاة في المسجد، أخذ يتردد على مساجد رفح، خصوصاً مسجدَيّ الهدى (وكان يخص أهل يبنا) والنور ثلاثة من الدعاة هم: الشيخ سليم شراب؛ من خان يونس، وكان أقرب إلى حزب التحرير الإسلامي كما قيل، وهو واسع الاطلاع متعدد الثقافات، شديدٌ فيما يعتقده صواباً، حادٌ في طبعه، وكان يحرص على عقد لقاءات بيتية منتظمة مع هؤلاء الشباب وكان مفتاحاً لابتعاث الشباب لاحقاً في الجامعات السعودية. والأستاذ محمد الغرابلي؛ وهو من غزة وكان مدرساً، وقد توفي بعد عام واحد من الاحتلال. والشيخ أحمد ياسين؛ وهو لاجئ في غزة (معسكر الشاطئ)، وكان مدرساً للُّغتين العربية والإنجليزية، بالإضافة إلى مادة التربية الدينية. هذا بالإضافة إلى الشيخ حسين المصري والشيخ رجب العطار، وكلاهما له خلفية إخوانية. وهما الخطيبان الرسميان في مسجد الهدى، وكان موسى الأكثر التصاقاً بالشيخ حسين المصري، حيث درس الفقه على يديه.

كان أفراد المجموعة القارئة يجلسون مع هؤلاء الدعاة بعد انتهائهم من إلقاء خطبهم، ويتحاورون معهم في مختلف القضايا الفكرية والسياسية والاقتصادية. الأمر الذي أسهم في تبلوُر اتجاه أفراد المجموعة نحو الإخوان المسلمين. وقد تحولت المجموعة القارئة جراء ذلك إلى أول مجموعة تمارس العمل التنظيمي لجماعة الإخوان المسلمين في رفح بعد الاحتلال الإسرائيلي.

وعلى خط موازٍ كانت هناك مجموعة أخرى تنشط في شمال القطاع ومدينة غزة تضم عبد العزيز عودة—الذي فُصل من الإخوان في وقت لاحق مع فتحي الشقاقي، حيث أسسا حركة الجهاد الإسلامي—ود. إبراهيم المقادمة، والأستاذ خليل القوقا، والمهندس إسماعيل أبو شنب، والمهندس توفيق أبو عيادة، والأستاذ أحمد عودة، بالإضافة إلى عشرات من الإخوان السابقين، وقد عادوا إلى العمل الدعوي، منهم الأستاذ عز الدين طه، والأستاذ أبو أيمن طه،

والأستاذ حماد الحسنات، والأستاذ عبد الفتاح دخان، والأستاذ محمد شمعة، والأستاذ محمود أبو خوصة، والأستاذ عبد الرحمن تمراز، وجميعهم لاجئون يقطنون المخيمات.

في نهاية سنة 1967، كان الشيخ أحمد ياسين[1] قد أصبح المحور الناظم الذي يجمع معظم هؤلاء الفتية، الذين كانوا يمتلكون عقلية الشباب. وكان الشيخ ياسين قد بدأ في إعادة بناء وترميم تنظيم الإخوان المسلمين في قطاع غزة باستعادة الأعضاء السابقين، واستقطاب الشباب الجُدُد الأكثر حيوية، حيث كان كلّ المذكورين سابقاً من طلاب المرحلة الثانوية، التي تُقسّم وفقاً للمنهج المصري إلى ثلاث سنوات دراسية.

د. موسى أبو مرزوق
سنوات الشباب

[1] تمّ انتخاب الشيخ أحمد ياسين على رأس الإخوان خلفاً للأستاذ إسماعيل الخالدي الذي غادر إلى السعودية.

Musa Abu Marzuq: A Life Journey

Memoirs of Seeking Refuge, Emigration and the Years of Struggle

هذا الكتاب

أن تولد لاجئاً، وأن تعيش مناضلاً، وأن يضعك الله سبحانه في مشهد الصدارة لقيادة حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، فهذه ملحمة ومشوار حياة فيه الكثير من التحديات، ويتطلب من القائد حكمة بالغة وصبراً جميلاً، للحفاظ على توازن المسيرة وتحقيق الأهداف.

في هذا الكتاب، استعراض لصفحات النشأة في المخيم، ثم سنوات الدراسة والعمل داخل الوطن وخارجه.

بلا شك، كانت المحطة الأهم في هذه السرديّة، هي سنوات العمل، ثم الاعتقال في أمريكا، على خلفية قيادة المكتب السياسي لحركة حماس.

عامان كان فيهما الكثير من الأحداث والمعاناة والفرص لإبراز القضية الفلسطينية، وتجسيد خطاب حماس السياسي كأحد أهم معادلات الصراع مع الاحتلال، وفضح جرائمه التي كانت أمريكا—بانحيازها لـ"إسرائيل"—تعمل على تعطيلها، وإفشال أي جهد دولي أو إنساني لنُصرة الفلسطينيين وقضيتهم.

هذا الكتاب يعرض الجزء الأول من الرواية، والتي ستكتمل تفاصيلها فيما هو قادم من أجزاء أخرى إن شاء الله.

ISBN 978-9953-572-82-6

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب: 14-5034 بيروت - لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت